الفصل الخامس
طبوغرافية اللسانيات المعرفية
في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة استكشافية

في ظل الاعتراف متعدد الأطراف والجهات بالميلاد الحديث للسانيات المعرفية "cognitive linguistics" في الدائرتين الغربية والعربية جميعًا، فإن المشروعية في التوجه للمنهجية الاستكشافية تبقى مسوغة، ولها وجاهتها ومعقوليتها في الوقت نفسه، ذلك أن البحوث الاستكشافية ظهرت للإسهام في خدمة الحقول المعرفية في بدايات ميلادها، وهذا منهج جديد بالاستصحاب في هذه الحالة التي تستهدف رسم خريطة لتضاريس حضور هذا الفرع اللساني في الثقافة العربية المعاصرة.

وهذا البحث يتناول مجموعة من المطالب التي تستهدف – ضمن أهداف متنوعة – رفع طبوغرافية حضور "اللسانيات المعرفية" في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة، وهذه المطالب هي:

١. مدخل: من تخوم علم النفس والدماغ إلى الاستقلال: موجز رحلة تأسيس اللسانيات المعرفية:

من الجائز أن نعود إلى بدايات اللسانيات المعاصرة مع فجرها على يد الرائد السويسري فرديناند دي سوسير (ت ١٩١٣م) في أمر تقرير نقطة البدء في ظهور التنبه إلى منزلة الذهن في بناء صرح اللسانيات العرفانية، وهذا المدخل يطمح إلى أن يرسم حدودًا أولية للبدايات المبكرة للسانيات المعرفية.

١/١ لقد كشفت قراءة لويك دوبيكير لمخطوطات دوسوسير عن حضور بارز للذهن في التأسيس المعاصر للسانيات، يقول[١]: "يشدد دوسوسير على عدة تعابير للفكر في

اللسان ذاكرًا بشكل خاص "الذهن"، هناك بالفعل عقد أساسي بين الذهن والإشارة؛ إذ للذهن خاصية غريبة، وهي أنه يتعلق من تلقاء نفسه بإشارات".

وتتكرر هذه الملحوظة في عمل دوبيكير، فيقرر مرة أخرى (ص ١٦٣): "تكون الانطباعات التي يتلقاها الذهن في وضع تخلق فيه العلاقات الأقل توقعًا بين أشياء مختلفة تمامًا"، ثم يصل إلى درجة كبيرة من الوضوح في الكشف عن بروز سهمة الذهن في تأسيس مدرسة دوسوسير اللسانية، فيقول (ص١٦٤): "إن الصوت والفكرة هما حتمًا متصلان بالنسبة إلى ذهننا"، ويقول (١٧٠): "إن دور الوعي في اللسان بالنسبة إلى دوسوسير ليس مجرد مسلمة، إنه مبدأ أساسي".

والانطلاق من هذه النقطة تأسيسًا على مرجعية اللسانيات السوسيرية يكشف عن أن نقطة الانطلاق الحقيقية في تأسيس اللسانيات المعرفية المتأخر بصورة كبيرة عن دوسوسير، تكمن في أمرين ظاهرين، هما:

أولًا: الاتصال المباشر بلسانيات دوسوسير على هامش اللقاء على أرض وعي المتكلم، وسهمة علم النفس الخفية في تأسيس لسانيات دوسوسير، وعمل الذهن؛ بما هو مبدأ أساسي فيها كذلك.

ثانيًا: التمرد الصارخ على النموذجين التفسيريين؛ البيولوجي والفيزيقي، اللذين مارسا نوعًا من الهيمنة والسطوة على لسانيات القرن التاسع عشر.

ولم يكن دوبيكير أول من كشف عن ذلك الخط الأولي في منجز دوسوسير، فقد سبقه ميشال أريفيه في كتابه: البحث عن فرديناند دوسوسير، عندما خصص فيه فصلًا عن اللاوعي عند فرديناند دوسوسير (ص ٢٣٧ – ٢٥٤)، ومما قرره فيه قوله (ص/٢٤١): "إن تصور درجات الوعي اللغوي يظهر ظهورًا يتفاوت في الوضوح من فقرة إلى أخرى من الدروس والكتابات؛ لذلك نشهد ظهور المفهومين المهمين الوعي الكامن، واللاوعي؛ والوعي الكامن الذي سيحوله ناشرا الدروس إلى ما تحت الوعي هو الذي يميز العلاقات الترابطية في تقابلها مع العلاقات النسقية"[٢].

لقد حققت مراجعات قراءة دوسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة حديثًا إعادة توزين لسهمة الذهن والوعي في تأسيس اللسانيات المعاصرة بشكل عام حتى غدا الذهن والوعي عاملًا يمنح اللسان الحياة والإحساس.

١/٢

وفي تطور لاحق أقامت اللسانيات النفسية صرحًا ظاهرًا لدراسة اللغة والعقل تجلت تطبيقاته في ثلاثة محاور أساسية، هي:

الأول: البحوث التنظيرية للعلاقة بين اللغة والعقل واللغة والدماغ.

الثاني: البحوث التطبيقية لاستثمار المنطق في الدرس اللغوي بوجه عام والدلالي بوجه خاص.

الأخير: البحوث الفلسفية والنفسية التي تتخذ من اللغة والعقل، واللغة والفكر منطقة عمل أساسية، وحقلًا مركزيًّا.

وقد برز في بحوث المحور الأول ميل للتفرقة بين دراسة العقل واللغة، ودراسة اللغة والدماغ، يقول جين أتيكس في المدخل الذي خصصته الموسوعة اللغوية (٢/ ٣٣٣): "تهدف دراسة اللغة والعقل إلى وضع نموذج لأعمال العقل بما يتعلق باللغة، وعلى غير شاكلة دراسة اللغة والدماغ؛ فإنها لا تحاول ربط اكتشافاتها بالحقيقة الفيزيائية"(٣)، وهذه الجملة الأخيرة هي ما ظهرت في الفقرة (ثانيًا) عندما قررنا: أن بدايات اللسانيات المعرفية بما هي متصلة الميلاد والنسب باللسانيات السوسيرية المعاصرة تمثل تمردًا صارخًا على النموذج التفسيري الفيزيائي.

ثم يواصل جين أتيكس، فيقول: "يحاول المرء العامل على اللغة والعقل أن يقدم خريطة للعقل تعمل بطريقة تشبه – لدرجة ما – الطريقة التي تعمل فيها خريطة قطار أنفاق لندن؛ إذ تقدم الخريطة الأخيرة ملخصًا دقيقًا لنقاط الوصول في النظام، إلا أنها تحاول تحديد المسافات الحقيقية بين المحطات في تحديد المواد التي تدخل في هيكل القطارات أو جسمها".

وهذه النقطة تعيينًا تحيل إلى ما قرره الدكتور محمد صلاح الدين الشريف اللساني التونسي المعروف، عندما قال في التمهيد الذي صنعه لواحد من الأدبيات المعاصرة في المجال (ص ٩): "إن النحو العرفاني اتجاه لساني نفسي، يقوم على اعتبار النحو مجموعة من العمليات الذهنية التصورية المعالجة للمعلومات، وهو اتجاه قام أساسًا على مخالفته لاتجاه، مثله النحو التوليدي في صيغته (التشومسكية) الأولى، المتصلة شديد الاتصال بالتصورات الفيزيائية القريبة من مفهوم الذكاء الاصطناعي، ورغم ابتعاد (التشومسكيين) عن هذه التصورات منذ السبعينيات وفي الثمانينيات بالخصوص، فإن الشرح الذي أحدثه التوليديون الدلاليون بانفصالهم عن النظرية المعيارية ازداد اتساعًا بظهور نظريات عرفانية (= معرفية) أخرى لا تقوم على مفهوم مركزية التركيب الإعرابي في الربط بين اللفظ والمعنى؛ بل تقوم على اعتبار الدلالة أو التصورات والعمليات الذهنية أساس الأبنية اللفظية، ومنها نظرية (لانجاكر)[٤] "الذي تأسست على سهمته اللسانيات العرفانية، ومن طريقه تمددت في الثقافة العربية المعاصرة".

وقد نهض عدد من اللسانيين والنفسانيين العرب المعاصرين بمحاولات توطين هذه الأفكار اللسانية/ النفسية في الثقافة العربية، اتخذت مسارين بارزين، هما:

أولًا: مسار التعريف بالإنجاز الغربي في هذا الميدان بترجمة كثير من الأدبيات اللسانية/ النفسية.

ثانيًا: مسار التصنيف والكتابة باللسان العربي مباشرة في هذا الميدان.

ومراجعة المنشور باللغة العربية يكشف عن ببليوجرافيا يمكن الاعتماد عليها في استكشاف خريطة هذه القضايا في اللسانيات النفسية؛ بما هي خطوة على طريق الظهور المستقل للسانيات المعرفية.

وفيما يلي ببليوجرافيا مختارة أو عينة تستهدف الإسهام في صناعة تسلسل زمني لدخول الأفكار المشتركة في دراسة اللغة والعقل على المحور الأول المتعلق بنقل الأفكار اللسانية النفسية الموضحة للعلاقة بين دراسة اللغة والعقل، واللغة والتفكير.

أ. ١٩٧٦م: التفكير واللغة، فيجوسكي، ترجمة د. طلعت منصور.

ب. ٢٠٠٠م: الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة؟، ستيفن بنكر، ترجمة د. حمزة بن ذقبلان المزيني.

ج. ٢٠٠٨م : اللغة والدماغ، لورين أوبلر، كريس جيرلو، ترجمة د.محمد زياد يحيى كبة.

د. ٢٠١١م: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ترجمة صلاح إسماعيل.

هـ. ٢٠١٤م: الإنسان .. اللغة .. الرمز: التطور المشترك للغة والمخ، تيرنس ديكون ترجمة: شوقي جلال.

صحيح أن هذه الببليوجرافيا الانتقائية ينتمي أفرادها إلى منهجيات مختلفة، وإبستيمولوجيات متنوعة، لكنها جميعًا توقفت طويلًا أمام فحص العلاقة بين دراسة اللغة والعقل، ودراسة اللغة والذهن؛ مما سوف يسهم في ظهور اللسانيات المعرفية بصورة تمثل تقليدًا له ملامحه الصلبة في مقاربة الظاهرة اللسانية في الوقت الراهن وبصورة متزايدة.

وقد أسهمت هذه الترجمات وغيرها في تطوير التأليف في ميادين اللسانيات النفسية في اللغة العربية، وشكلت حدود كثير من المسارات أظهرت حقولًا معرفية فرعية منضوية تحتها، من مثل:

أ. اللغة والفكر.

ب. اللغة وعلم النفس.

ج. اللغة والإبداع.

د. اللغة والمرض العقلي.

هـ. دراسات اكتساب اللغة وتعلمها.

و. دراسات فهم اللغة وأنظمة التأويل.

ز. اللغة واللاوعي والأحلام.

وهذه الحقول المعرفية اللسانية الفرعية قابلة للتمدد بطبيعة الحال عند الفحص التفصيلي المستوعب.

١/٣

من جهة أخرى، فإن فحص دراسات اللغة والمنطق يمكن أن يمثل خطًّا مهمًّا على طريق استكشاف موجز رحلة استقلال اللسانيات المعرفية أو سعيها لذلك في الثقافة العربية المعاصرة؛ ذلك أن المنطق في الميراث الثقافي العربي مثل على امتداد وتاريخ الثقافة العربية ميزانًا أو أورجانونًا أو آلة ضابطة لعمل العقل.

ومن هذه النقطة التي تتجاوز المنطق الوضعي إلى التعانق بين اللغة والمنطق الحديث، ظهر نمط جيد من التنبه إلى العقل بوصفه "فعلًا متصلًا" وله أدوار متزامنة، على حد تعبير الدكتور طه عبد الرحمن(٥).

وفي هذا السياق تظهر الأدبيات التالية:

أ. ٢٠٠٦م: في سبيل منطق للمعنى، لروبير مارتان، ترجمة الطيب البكوش، وصالح الماجري، وبشير الورهاني.

ب. ٢٠١٣م: المنطق في اللسانيات، مينس أود، ولارس غونار أندرسون، وأوستن دال.

ج. ١٩٩٧م: اللسان والميزان، د. طه عبد الرحمن.

إن النظر لهذه السهمة التي تربط بين المنطق واللسان من منظور محاولة عقلية لدرس اللساني عامة، والدلالي خاصة، هو الذي يقترب بأدبيات هذا الحقل من اللسانيات المعرفية بوصفها فحصًا للعمليات الذهنية والعقلية في اللغة ونشاطها.

١/٤

إن اللسانيات المعرفية في سعيها لخلق مقاربة جديدة، تتجاور مع المقاربات اللسانية القائمة، من دون السعي إلى إزاحتها - تتأسس على استثمار الأبنية الثقافية والحضارية

المتنوعة، وتعدها أصلًا من أصول مقاربتها للنشاط اللساني، وهذا المنظور يجعل من دراسات اللغة والثقافة خطوة مهمة على طريق فحص موجز البدايات الممهدة.

إننا عند التأمل الدقيق، ومن دون اتهام بالتجاوز أو الشطط يمكننا أن نرى في دراسات الأنثروبولوجيين، ودراسات الثقافة، ودراسات الفكر البدائي خطوة مهمة جدًّا ملهمة للسانيات المعرفية، بما تمدها به من معارف مركوزة في العقل الإنساني المشترك.

ومن هذا الباب يمكننا أن نعد أدبيات الفكر البري، والقديم، والرموز التقليدية جزءًا من الماكينات التي دفعت في اتجاه تخليق اللسانيات المعرفية.

إن قراءة الفكر البري، لكلود ليفي شتراوس يمكن أن تمثل خطًّا عرفانيًّا يغذي اللسانيات المعرفية بأكثر من مجرد شرعية الميلاد الحديث، وهذا الذي نقرره ظاهر في نظرة نظير جاهل، الذي يجعل من عمل شتراوس عملًا معرفيًّا بامتياز عندما يقول في مقدمة ترجمته (ص ٥): "هنا يبدو مدار المعارف البشرية، وقد انغلق على نفسه بالتقاء السحر والعلم، فتمتزج الأشياء وتتطابق وتدور الرموز والكلمات في أبراج تحكي عن اتحاد البدائي بالمعاصر، والإنسان بالكون والذهن في المادة"، وهو لا يترك لنا تفسير التعبير "المعارف" بالعرفانية، ولكنه يقرر فيقول (ص١١): "هذه الرؤية العرفانية التي تجعل الإنسان أرفع المخلوقات درجة من حيث قدرته على الإبداع تصوره أيضًا متوحدًا مع الكون".

إن ما يهمنا هنا هو ضرورة التنبه إلى أن دراسات الفكر البري والبدائي والرموز التقليدية الموروثة في تاريخ الثقافات تمثل جزءًا مهمًّا في هذا الموجز التأسيسي.

وفي هذا السياق يأتي كتاب: الفكر البري، لكلود ليفي شتراوس بعد ترجمته إلى العربية، ليمثل حلقة مهمة في هذا التاريخ الموجز لظهور اللسانيات العرفانية في الثقافة العربية المعاصرة.

ويرتبط بهذه المسألة مسألة مستترة نسبيًّا تتعلق ببحوث انقراض اللغات وخطرها على تآكل المعرفة الإنسانية، وتأثير ذلك الضار على عمل العقل الإنساني، يقول ديفيد

هاريسون: (ص ٢١): "إنني أدعي أن اختفاء اللغات سوف يؤدي إلى تآكل كبير في المعرفة البشرية، وحينما يحدث ذلك سوف تختفي معها المعارف المهمة والراسخة التي كونتها البشرية على المدى الطويل، التي قادت التفاعل بين الإنسان والبيئة لآلاف السنين، إننا إزاء فقدان الحكمة المتراكمة، وفقدان ملاحظات كونتها أجيال من البشر حول عالم الطبيعة والنباتات والحيوانات والطقس والتربة، وهكذا سوف تكون الخسارة عظيمة، ولن يكون هناك سبيل في الغالب لاستعادة المعرفة"(٦).

١/٥

ولعل التطور الذي أحدثته اللسانيات العصبية يعد الخطوة الأخيرة عند ترسيم حدود خريطة التأسيس الموجز على طريق انطلاقة اللسانيات المعرفية، ذلك أن هذا الفرع من اللسانيات يعرف على أنه: "فرع من اللغويات يتعامل مع ترميز المقدرة اللغوية في الدماغ"(٧). وبهذا التعريف الذي يعتمده: روث ليسر في مدخله المكثف: اللغة في الدماغ، اللغويات العصبية، في الموسوعة اللغوية نقترب جدًّا من تخوم أرض اللسانيات المعرفية.

صحيح أن مشغلة هذا الفرع ظلت على امتداد تاريخه منحصرة في الأغراض التطبيقية والعلاجية بشكل أساسي، ولكن الاقتراب العميق من انشغاله بالنماذج المعالجة للفهم والاستيعاب لبعض عناصر اللغة جعله - في نظرنا - مرحلة ممهدة لظهور اللسانيات المعرفية.

وثمة دراسات ظهرت مؤخرًا أظهرت هذه العلاقة بين البناء العصبي للغة واللسانيات المعرفية، يقول د. عبد الرحمن محمد طعمة: "وما أريد تأكيده هنا هو أن إبستمولوجيا النموذج العصبي اللساني عرفانية إلى درجة بعيدة، مرتبطة بشكل إلزامي بمنعطف السلوك التطوري العام للظواهر الحياتية، التي تدخل الدراسات اللسانية قطعًا في إطارها"(٨).

وفي هذا السياق تعاود إنجازات تشومسكي، وستيفن بنكر، وروثي، وغيرهم ممن ترجمت بعض إسهاماتهم إلى اللسان العربي إلى الظهور والحضور في هذا السياق؛ لتكون بمثابة نقطة الضوء على طريق توطين اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة.

وربما فتحت هذه العلاقة التي نقترحها بين اللسانيات العصبية واللسانيات المعرفية الطريق لتصور إمكان التصوير الإشعاعي للمخ متلبسًا بحالة الاستعداد لإنتاج الكلام، والاستعداد لفهمه واستيعابه، وتأويله.

وهو أمر سبق أن توصلت البحوث إلى قريب منه على ما تقرره هيلين فيشر: إنه أمكن التصوير الإشعاعي للمخ في حالة الحب(٩).

٢/ اللسانيات المعرفية: جدل التسمية بما هي انعكاس لبدايات الاستقلال:

سيظهر من هذه الدراسة الاستكشافية في مطلب تالٍ انحصار منجز اللسانيات المعرفية في بقع ضيقة جدًّا على خريطة الثقافة العربية المعاصرة، إن في المغرب وإن في المشرق (تونس/ والمغرب) و(العراق/ ومصر).

ومع ذلك، فقد رصدت هذه الدراسة نمطًا من الجدل في تسمية هذا الفرع، وهو ما يمكن رصده من خلال ثلاثة أنماط من الأدبيات:

أولًا: معاجم المصطلحات اللسانية العربية المعاصرة.

ثانيًا: ترجمات الأدبيات الغربية إلى العربية (على مستوى العنوانات).

ثالثًا: الأعمال التصنيفية للسانيين العرب المعاصرين.

والجدول التالي يكشف عن جدل التسمية لهذا الفرع:

الأدبيات الجهات	المغاربة	المشارقة
في المعاجم المختصة(١٠)	٢٠٠٩م: عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب) اللسانيات المعرفية. ٢٠١٢م: صالح الماجري اللسانيات العرفانية.	١٩٩٠م د. رمزي البعلبكي (لبنان) اللسانيات المعرفية الإدراكية.
في التراجم(١١)	٢٠١٢م: عبد الرزاق بنور (تونس) العرفانية، ترجمة عن راي جاكندوف.	٢٠٠٩م د. أحمد شاكر الكلابي (العراق) علم اللغة الإدراكي. ٢٠١٢م: د. تحسين رزاق عزيز (العراق)، ترجمة عن اللسانيات الإدراكية، زينايدا بوبوفا. ٢٠١٥م: د. سعيد بحيري (مصر ويوسف ستيرين، علم اللغة الإدراكي: ترجمة عن مونيكا نفارتس. ٢٠١٦م: سعيد بحيري (مصر) اللغة والإدراك، ترجمة عن فولفجانج زوخاروفكسي.

obeikan.com

في التأليف(١٢)	١٩٩٦م: عبد المجيد جحفة (المغرب) اللسانيات المعرفية. ٢٠٠٨م: د. صابر الحباشة (تونس) اللسانيات العرفانية. ٢٠١٠م: عبد الجبار بن غربية (تونس) النحو العرفاني. ٢٠١٠م: الأزهر الزناد (تونس): اللسانيات العرفنية.	٢٠١٥م: د. عطية سليمان (مصر) العرفانية. ٢٠١٧م: د. محيي الدين محسب (مصر): الإدراكيات.

إن مراجعة اختيار هذه المكافئات الترجمية للمصطلح الغربي: Cognitive linguistics يعكس مجموعة من المحددات العلمية والاجتماعية في تمثل هذا الفرع اللساني المعاصر، وهذه المحددات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: اتساع دائرة العلوم التي أسهمت في تأسيس هذا الفرع اللساني.

ثانيًا: إرداة اختيار مكافئ معبر عن حقيقة هذا الفرع اللساني من جانب، ومتمايز عن حضوره في الحقول المعرفية المصورة للأفكار الداعمة له من علم النفس، واللسانيات العصبية، ودراسات العقل والدماغ، واللسانيات العيادية، والذكاء الاصطناعي وغيرها.

ثالثًا: محاولة خلق مناطق حاسمة لمنع الاشتراك المفضي إلى العتمة الدلالية أو اللبس، ولاسيما مع مصطلحات المعرفية الإبستمولوجية، والعرفانية/ الثيوفانية (الصوفية)، و(والغنوصية)

وربما بدا للقارئ من خلال هذه القراءة الاستكشافية أن يجنح للانتصار للمكافئ الترجمي (اللسانيات الإدراكية) لعدة اعتبارات منها:

أولًا: استقرار ترجمة المصطلح الغربي cognitive بالإدراكي في حقل علم النفس، وانعدام الشغب عليه.

ثانيًا: استقرار الإقراري بحضور الرأي القائل بحضور أثر الذهن في تأسيس اللسانيات الإراكية.

ثالثًا: استقرار فكرة هجرة المصطلحات أو سفرها، أو ارتحالها من حقل معرفي لآخر مع اتحاد رسمها، ويترك للتعريفات والحدود بيان الفروق من معانيها من طريق تمايز القيود في تعريف كل حقل للرسم الواحد.

وهذا الجنوح المتصور من القارئ إلى مصطلح اللسانيات الإدراكية يدعمه كذلك، إنه ليس هناك ما يمنع من هجرة مصطلح "المعرفية" من حقل علم الفلسفة إلى حقل اللسانيات، مع تقدير الفروق الدلالية في الاستعمالات بموجب حضور العنصر الأول من التركيب الوصفي في تسمية العلم: (اللسانيات المعرفية) أو غيابه وحضور غيره من مصطلحات الحقول العلمية الأخرى.

رابعًا: استقرار تقدير المصطلحية لمبدأ الشفافية، والوضوح في صك المصطلحات المعرفية، ومصطلح شفاف مقارنة بالمكافئات البديلة المتمثلة شريطة ارتباطه باللسانيات:

أ. المعرفية التي تحيط بها العتمة الدلالية (أو الغموض) بسبب استقرارها، مكافئًا لمصطلح: الإبستمولوجي، وهو ما يلزم معه ذكرهما مقترنين عند إراداتها.

ب. العرفانية التي تحيط بها العتمة الدلالية (أو الغموض) بسبب استقرارها، مكافئًا لمصطلح: الثيوفانية.

ج. العرفنية (عند الأزهر الزناد) التي تحيط بها العتمة الدلالية لصعوبة استدعاء الأصول الاشتقاقية التي اشتق منها هذا المصطلح المقترح.

من جانب آخر، فإن شيوع استعمال العرفانية في الدائرة المغربية، مع ظهوره ليس خالصًا، ولاسيما إذا كان تحته مقترحان هما:

أ. المعرفية من د. عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب) في عمل معجم مختص باللسانيات وعبد المجيد حجفة (المغرب) في مقدمة ترجمة كتاب لايكوف (الاستعارات التي نحيا بها).

ت. العرفنية من د. الأزهر الزناد، وهو شعور بنوع من القلق تجاه المقترح بمكافئ: العرفانية.

وهذا القلق يكاد يختفي في الدائرة المشرقية انتصارًا للمقترح بمكافئ: الإدراكية/ الإدراكيات من العراق ومصر، ولكن ذلك الجنوح متصور يبدو غير دقيق على ما سيظهر هنا.

على أن د. سعد مصلوح (مصر) يقترح المكافئ: اللسانيات المعرفية ترجمة لـ: cognitive linguistics بعد تعديل في ترجمة مصطلح epistemological بأحد مكافئين، هما:

أ. معارفي بصيغة الجمع رعاية للعلاقات بين الاختصاصات المختلفة طلبًا للعناية بخاصية التعدد والاختلاف بين العلوم.

ب. أو أن يستعمل الإبستمولوجيا، كما هي في صيغتها الأجنبية وبمفهومها الأجنبي.

وبذلك يخلص المكافئ: اللسانيات المعرفية ترجمة للفرع اللساني مشغلة هذا الاستكشاف المعرفي في اللغة الإنجليزية بـ cognitive linguistics، وهو الأمر الذي يهتم بوظائف الإدراك والعمليات المتصلة بإنتاج المعرفة(١٣).

ويعلق على من يقترحون المكافئ الترجمي – العرفانية – بعبارة لا تخلو من الدلالة عندما يقول: "إن الذين فعلوا ذلك كانوا كمن هرب من الدب فسقط في الجب؛ لأن عرفاني مصطلح صوفي غنوصي".

وعلى كل حال، فإن استقرار أي من هذه المكافئات: المعرفة/ أو العرفانية/ أو العرفنية/ أو الإدراكية مرهون بمجموعة من العوامل من مثل:

أولًا: شيوع الأفكار المنتمية إلى هذا الفرع من اللسانيات.

ثانيًا: بيان فوراق ما بين (المعرفية) بما هي عمليات تتجاوز حدود الإدراك وتتمايز عن الإبيستمولوجي والعرفاني/ الثيوفاني.

ثالثًا: انتشار التطبيقات التي تستثمر معلومات هذا الفرع اللساني في إنتاج المعرفة، وتمثلها، وفهم الكلام، وتأويله، ومخططات القدرة العقلية في ذلك كله.

وتمثل محاولة د. محيي الدين محسب[١٤] لمناقشة "جدول المقابلات العربية" أوسع المناقشات وأغناها سعيًا لحسم اختيار مكافئ عربي ترجمي لـ cognitive linguistics، وإن انتصر في نهايتها للسانيات الإدراكية أو الإدراكيات.

٤/ حدود خريطة المنجز في اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة:

إن فحص ببليوجرافيا اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة تكشف عن إمكان ترسيم خريطة المنجز فيها على محورين، هما:

أولًا: محور المكان:

أ. جغرافية المغرب (تونس/ المغرب).

ب. جغرافية المشرق (العراق/ مصر).

ثانيًا: محور أنساق التأليف:

أ. محور توطين اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة من طريق النقل والترجمة لأدبياتها الغربية الأميركية والأوربية (الفرنسية).

ب. محور تشغيل اللسانيات المعرفية العربية المعاصرة من طريق التأليف على مستويي التنظير والتأصيل، ورسم الحدود والتطبيق.

وفيما يلي قراءة استكشافية لأدبيات اللسانيات المعرفية موزعة على هذين المحورين:

١/٤ حدود خريطة منجز اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة: على المحور الزمكاني:

يؤرخ لبدايات اللسانيات المعرفية في الغرب في محوري أمريكا/ وأوربا بعقد الثمانينيات، ولاسيما في ١٩٨٧/ ١٩٨٨م تعيينًا، وهو العقد الذي شهد ظهور مؤلفات الثلاثي الشهير:

- جورج لايكوف (ولد ١٩٤١م).
- رونالد لانجاكر (ولد ١٩٤٢م).
- راي جاكندوف (ولد ١٩٤٥م).

والحقيقة أن بعض أدبيات هؤلاء الرواد لم تتأخر كثيرًا في انتقالها إلى اللسان العربي، على عكس كثير من النظريات والتوجهات (المقاربات) اللسانية السابقة التي كانت تتأخر في رحلة انتقالها إلى اللسان العربي بالعقود الممتدة.

وفيما يلي بيان يكشف التسلسل الزمني لترجمة هذه الأدبيات في الثقافة العربية المعاصرة:

- ١٩٩٦م (مقدمة المترجم موقعة بتاريخ ١٩٩٢م)/ المغرب:
الاستعارات التي نحيا بها/ جورج لايكوف، ترجمة د. عبد المجيد جحفة.
- ٢٠١٠م/ علم الدلالة والعرفانية (تونس)/ راي جاكندوف، ترجمة د. عبد الرزاق بنور.
- ٢٠١٠م/ كتب عبد الجبار بن غربية كتابه: مدخل إلى النحو العرفاني: (نظرية رونالد لانجاكر)/تونس.

هذا التسلسل الزمني اليسير يكشف عن بدايات حيية للسانيات المعرفية في الثقافة العربية، ويمكننا أن نقرر معها أن هذا الفرع اللساني ما زال في مراحله الأولى الجنينية في اللسان العربي.

وقد حدث نوع طفرة على مستوى إنجاز الترجمات لعدد من أدبيات هذا الفرع اللساني المعاصر مع انتصاف العقد الثاني من الألفية الثالث (٢٠١٣م) وما بعدها، وهو ما نلحظه في ظهور الأعمال التالية:

- ٢٠١٣م – اللسانيات الإدراكية، لزينايدا بوبوفا، ويوسف ستيرنين، ترجمة د. تحسين رزاق عزيز (العراق/ بغداد).

– ٢٠١٥م اللغة والإدراك، لفولفجانج زوخاروفسي، ترجمة د.سعيد حسن بحيري (مصر/ القاهرة).

٢٠١٦م/ اللغة والمعرفة: دراسات في علم اللغة الإدراكي/ تحيري ساشاف فليكس، ترجمة د. سعيد بحيري (مصر).

وقد نشر الدكتور سعيد حسن بحيري في ختام ترجمته لكتاب مونيكا شفارتس أنه انتهي من ترجمة عدد من أدبيات اللسانيات (الإدراكية) هي:

- بحوث في علم الدلالة الإدراكي، لمونيكا شفارتس.
- أسس الاستيعاب اللغوي الإدراكي، لجيرت ريكهارت، وهاتر شترونس.
- علم الدلالة الإدراكي، لـ: ف إيفانس، وم جريين
- علم الدلالة الإدراكي: تمثيلات وعمليات، لجيرات ريكهارت.

من جانب آخر، فإن استكشاف خريطة منجز اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة على مستوى التأليف النظري والتطبيقي تبدو أكثر كثافة من منجز ترجمة أدبيات رواد هذه اللسانيات في الغرب؛ إن في أمريكا، وإن في أوربا (فرنسا/ وألمانيا) تعيينًا.

وفيما يلي رصد للمنجز العربي المعاصر في هذا الميدان:

أولًا: في المغرب العربي:

مثلما سبق لسانيو المغرب العربي إلى التبشير باللسانيات المعرفية من طريق نهوضهم بترجمات أدبيات لروادها في الغرب، سبقوا كذلك إلى استثمار هذه الأدبيات الغربية في الكتابة التأليفية في هذا الفرع اللساني في الثقافة العربية المعاصرة بصورة مباشرة.

وقد ظهرت في هذا الباب إسهامات تأليفية تتجاوز الإسهامات الترجمية بمنظور الكثافة الإنتاجية، ومن ذلك:

– ٢٠٠٨م/ اللغة والمعرفة: رؤية جديدة، د. صابر الحباشة (تونس) حيث خصص فصلًا لبعض مشكلات اللسانيات "العرفانية" (ص ٥٩ وما بعدها).

obeikan.com

- ٢٠٠٩م/ الأبعاد التأويلية والمفهومية للدلالة المعجمية، د. عبد السلام عيساوي (تونس).

حيث خصص مبحثًا للتصورات الأساسية للدلالة العرفانية (ص ١٣٥ وما بعدها).

- ٢٠٠٩م/ دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالح البوعمراني (تونس).

- ٢٠٠٩م/ فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو/ د. الأزهر الزناد (تونس).

حيث خصص فصلًا كاملًا (هو الفصل الخامس) لدراسة البنية (المظهر) من منظور اللسانيات (العرفنية)، مستصحبًا في الغالب منجز رونالد لانجاكر، في كتاباته المختلفة، بدءًا من منجزه (١٩٨٣م)، وحتى (٢٠٠١م).

- ٢٠٠٩م/ المنوال المنهاجي والبرهاني العرفاني: الاستعارة التصورية في أشعار الهذليين/ عامر الحلواني (تونس).

- ٢٠١٠م/ نظريات لسانية عرفنية/ د. الأزهر الزناد (تونس).

وفي هذا الكتاب انتقل من تخصيص فصل لمقاربة بعض الظواهر في العربية من منظور اللسانيات المعرفية إلى تخصيص كتاب كامل للتعريف بنظرياتها ومنشئها التاريخي والمفهومي (ص ١٧ - ٤٠)، والتعريف بعدد كبير من النظريات المعرفية طال الدلالة المعرفية، والاستعارة المفهومية، والخطاطة العرفنية، والجسدنة، والروابط العرفنية وغيرها.

- ٢٠١١م/ النص والخطاب: مباحث لسانية عرفنية/ د. الأزهر الزناد (تونس).

- ٢٠١٠م/ مدخل إلى النحو العرفاني/ د. عبد الجبار بن غربية (تونس)، وهو تعريف بمنجز رونالد لانجاكر، كما جاء في العنوان الفرعي للكتاب، وهو ما حملنا على أن ندرجه في المنجز الترجمي للسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة.

ثانيًا: في المشرق العربي:

رأينا سهمة اللسانيين العرب المشارقة المعاصرين في المنجز الترجمي لأدبيات اللسانية المعرفية فارقت السهمة المغربية في أمرين، هما:

١. تأخر الظهور مقارنة بتاريخ ظهور المنجز المغربي.

٢. التراجع والابتعاد عن منجز روادها في الغرب؛ إذ لم يترجم المشارقة شيئًا من أدبيات لساني اللسانيات المعرفية الغربيين: جاكندوف، ولانجاكر، ولايكوف.

من جانب آخر، فإن سهمة المشارقة في المحور التأليفي جاءت متأخرة في الزمان عن سهمة المغاربة، ومتراجعة في كثافة الإنتاج كذلك، وفيما يلي بيان بسهمة المشارقة في التأليف في اللسانيات المعرفية:

- ٢٠١٤م/ الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية/ د. عطية سليمان أحمد (مصر).

- ٢٠١٤م/ الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي: سورة يوسف نموذجًا/ د. عطية سليمان أحمد (مصر).

وهذان العملان في تطبيقهما لبعض النظريات في الدلالة "العرفانية" يستثمر المنجز المغربي (التونسي على وجه التعيين)، ويستصحب مقولاته وجهازه الاصطلاحي بمكافئاته الترجمية عند الوصف والتحليل.

- ٢٠١٧م/ البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية/ د. عبد الرحمن محمد طعمة (مصر).

وفيه تأصيل للعلاقات بين اللسانيات العصبية والمعرفية، والأسس النظرية لهذا الفرع اللساني الوليد في الثقافة العربية المعاصرة.

-٢٠١٧م/ الإدراكيات: أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية/ د.محيي الدين محسب (مصر).

وقد خصص فصلًا مطولًا للمداخل التاريخية والمفهومية للإدراكيات، وجدل المقابلات في العربية، وفصل القول في استثمار اللسانيات المعرفية في التأسيس المعاصر لعلمية النقد الأدبي.

وتأمل حدود هذه الخريطة، وفحص طبوغرافيتها يكشف عن مجموعة من العلامات الدالة في رحلة استكشاف توطين مبادئ اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة، هي كما يلي:

أولًا: كشف فحص طبوغرافية حضور اللسانيات المعرفية في المغرب العربي عن تأكيد فكرة السبق الذي يحتازونه منذ عقود في خدمة اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.

ثانيًا: كشف فحص منجز المغرب الترجمي/ والتأليفي عن الأثر الإيجابي المباشر للاتصال بدوائر الإنتاج المركزية للسانيات المعرفية في الغرب بمحوريه، وهو ما يعكس نهوضهم بترجمات أدبيات مركزية في هذا الحقل.

ثالثًا: كشف فحص منجز المشرق الترجمي/ والتأليفي عن عدم الاتصال المباشر بدوائر الإنتاج الأساسية لأفكار اللسانيات المعرفية إلى دوائر ثانوية أو هامشية على مستوى الترجمة، وكشف الفحص عن تبعية ظاهرة للمنجز التأليفي والترجمي المغربي على مستوى الفهم والإجراءات التحليلية، والأجهزة الاصطلاحية على ما يظهر من تطبيقات عطية سليمان أحمد.

رابعًا: كشف تأمل المنجز المشرقي عن استئثار الجانب التاريخي، والتعريفي بمساحة ضخمة من الخريطة التاليفية، ربما تصل إلى نسبة ٤٠٪ من مجمل المنجز التاليفي، فقد جاء أكثر من نصف كتاب د. محيي الدين محسب، وكتاب د. عبد الرحمن محمد طعمة مخلصًا للمداخل التاريخية والإبستمولوجية والمفهومية للسانيات المعرفية، في حين خلص منجز د.عطية سليمان أحمد للنطاق التطبيقي.

خاتمة:

بعد هذه المطالب التي توقفت أمام موجز رحلة تأسيس اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة، بعد محاولة استكشاف طبوغرافية خريطة المنجز على مستويي الإنجاز الترجمي والإنجاز التأليفي، تبدو الصورة الملتقطة للخريطة بعد هذه الرحلة في بدء أمرها، وتبدو من الناحية الزمنية في مرحلة عمرية مبكرة.

وتنامي اللسانيات المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة مرهون باستمرار ترجمة منجز روادها في الغرب من جانب، وتمدد التعريف بنظرياتها ومقولاتها، والإجراءات المتبعة في تطبيقاتها بلسان عربي يتجاوز أزمة المكافئ الترجمي لتسمية هذا الفرع إلى نوع من تحديد التصورات والمفاهيم وبيان الخلفيات التي دفعت إلى الوجود الحي.

الهوامش:

١- فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته: مفاهيم فكرية في تطوير اللسانيات لويك دوبيكير، ترجمة ريما بركة، مراجعة بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٥م (ص ١٦٢).

٢- البحث عن فرديناند دوسوسير، ميشال أريفيه، ترجمة د. محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٩م (ص ٢٤١).

٣- الموسوعة اللغوية، تحرير د. كولنج، ترجمة د. محي الدين حميدي، ود. عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٠م (٢/ ٣٣٣).

٤- مدخل إلى النحو العرفاني، عبد الجبار بن غربية، تقديم محمد صلاح الدين الشريف مكسيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، بمنوبة تونس، ٢٠١٠م (ص ٩).

٥- انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط٢)، ٢٠١٢م.

٦- عندما تموت اللغات: انقراض لغات العالم وتآكل المعرفة الإنسانية، ك. ديفيد هاريسون، ترجمة د. محمد مازن جلال، جامعة الملك سعود، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م (ص ٢١).

٧- الموسوعة اللغوية، تحير د. كولج، ترجمة محي الدين حميدي، د. عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٠م (٢/٣٧١).

٨- البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية للدكتور عبد الرحمن محمد طعمة، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ٢٠١٧م (ص ١١).

٩- لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه، هيلين فيشر، ترجمة فاطمة ناعوت وأيمن حامد المركز القومي للترجمة، القاهرة، (رقم ٢٤٣١) ٢٠١٥م (ص ٧٦).

١٠-معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م (ص ٩٧) في رسم (cognitive) ومعجم المصطلحات اللسانية، للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠١م (ص٤٥) وقاموس علوم اللغة، فرانك نوفو، ترجمة صالح الماجري: المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠١٢م (ص٣١١) رسم (cognitiv) .

١١-علم الدلالة والعرفانية، راي جاكندوف، ترجمة عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠ واللسانيات الإدراكية، زينايدا بوبوفا، ويوسف سترنين، ترجمة تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة العراقي، بغداد ٢٠١٣م ومدخل إلى علم اللغة الإدراكي، مونيكا شيفارتس ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٥م واللغة والإدراك، فولفجانج زوخاروفسكي، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠١٦م.

١٢-أعلام الفكر اللغوي: التقليد الغربي في القرن العشرين جون إي جوزيف، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٦م (٢/ ١٦٤). واللغة والمعرفة رؤية جديدة صابر الحباشة، صفحات للنشر، دمشق، ٢٠٠٨م ومدخل للنحو العرفاني،

عبد الجبار بن غربية، تقديم محمد صلاح الدين الشريف مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والإنسانيات منوبة، تونس٢٠١٠م، والاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، د. عطية سليمان الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ٢٠١٣م، والإدراكيات: أبعاد إبستمولوجية، وجهات تطبيقية، د. محيي الدين محسب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ٢٠١٧م.

١٣- رسالة خاصة أرسلها إلي يوم الاثنين ٢٩ مايو ٢٠١٧م = ٣ رمضان ١٤٣٨هـ!

١٤- الإدراكيات: أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، للدكتور محيي الدين محسب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن ٢٠١٧م (ص ٤٣- ١٠٩).

obeikan.com